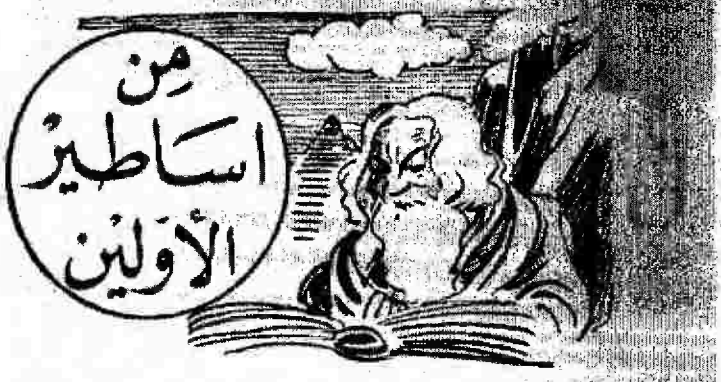

الأوذيسة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ

وبينما كان أدوسيوس جالساً يزدرد طعامه ، إذا شحاذ ضخم الجسم شائه المنظر يدخل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إيروس ، المشهور بنهمه الذى لا يوصف ، وبإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس فى الجزيرة كلها من يجهله ... فلما لمح أودسيوس جالساً يتبلغ بلقماته ، نظر إليه نظرات المغيظ الحَنِق وقال له : « انحرف عن الباب أيها العجوز القذر وإلا جررتك من عقبيك ... ولو أننى أترفع عن مقارعة أمثالك !! » وحدجه أودسيوس وقال : « أيها الصديق إننى ما آذيتك ، وإن فى المكان متسعاً لكلينا ... أرجو ألا تثير فىّ أكثر مما فعلت وإلا فلا يغرنك هرمى وتقدم سنى ، فتالله لأُرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامةُ اسقونى ! إجنح للسلم هو خير لك ! وأصخ إلى نصحى ، وإلا فلن تدخل قصر الملك أودسيوس بعد اليوم ... ! » وغيظ الشحاذ إيروس وقال : « اسمعوا ما ذا يهرف هذا الشَّره المخرف ! ألا ما أشبهه بزوجة حمقاء تثرثر أمام كانون ! تالله ليخيل إلىّ أن أنقض عليه فأُنقض ثناياه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال: « أيها الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتحداه ... هلم نجعل حولهما حَلْقَة لنرى إلى هذا العراك المضحك ! » وسكت أنطونيوس ، وتكبكب الأمراء حول الرجلين ضاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسمعا إذن ! ههنا كعكات ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكما على قِرنه ... ولمن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا فى جميع ولائمنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أودسيوس وقال : « يا سادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلى مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعنى إلى البطش به مع ذلك ... بيد أن لى رجاء ألا يساعده أحد علىّ ، فيلكمنى مثلاً أو يلكزنى حينما أكون مشغولاً به » فقاسموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعك أن تناضل هذا الزميل فلن تخشى من هؤلاء رهقاً ... إنى أنا مضيفك ، وليس أحب إلى أنطونيوس ويوريماخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أودسيوس شمر عن ساعديه وفخذيه ، وكشف قليلاً عن صدره ، عامداً ليظهر الأمراء على عضله المكتنز وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً !

أي عضل وأي ساعدين وفخذين يخفي هذا الرجل تحت أسماله ومِزَقه البالية ؟ مسكين إيروس ! ما ذا يبقى منه بعد هذا اللقاء ؟! » أما إيروس فقد انتفض واقشعر بدنه مما عراه من الذعر ، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذي دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه وفخذيه كما فعل غريمه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن يكتشف العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكر وفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقت عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبث المسكين لا يبدي حراكا من هول ما حل به ؛ بيد أن أودسيوس جره من عقبيه إلى ساحة القصر ، ثم عرج به نحو جدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تغش منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالي ... فان عدت إلى مثل حماقتك فلن يصيبك إلا شر مما رأيت ! » وتركه وانثنى إلى حيث كان ، فوجد العشاق يضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأنالك أمانيك أيها الغريب اللاجىء ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم الملحاح ! » ، وسمع أودسيوس دعاءهم ، وابتهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه انطونيوس كمكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بخبز وخمر صبها له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعا له بخير . وآنس فيه أودسيوس طيبة ودماثة خلق فقال له : « هيه ... هلم أيها العزيز أمحضك نصيحتي وأحدثك من تجاربي ... ألا ما أضعف الانسان ! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فاذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناء بجانبه كأن لم يمسسه ضر ... فأنا مثلا لقد كنت في عنفوان صباي أعيث في الأرض مغتراً بقوتي وفتوتي ، حتى أسقط الكبر في يدي ففئت إلى أمر السماء ، ولكن بعد أن كتب عليّ الشقاء وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأماني وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارّين آمنين لايظنون أن له صاحباً قد يفجأهم بعودته فيستأصل شأفتهم ويذهب بريحهم ... وإني والله أيها السيد لأرى أنه عائد ليس من هذا بد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم معهم ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدهمك معهم فيحطمنكم أجمعين ... » وشرب أودسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي بدت عليه أمارات الهم مما قال الرجل ولكن ... واأسفاه ! لقد كتب عليه الشقاء ، فلم يصغ لنصيحة أودسيوس

وبدا لبنلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين العشاق ليروها ، ولترى ما ذا يكون ... وقبل أن تفعل ألقت عليها مينرفا نُعاساً وأَمَنةً ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطيها لُهى عجيبة ؛ ثم إن الربة أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونضّرتها بنضرة الشباب والجمال ، فربا جسمها واستطال ، وزانته لمة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها ، مرست عينيها متعجبة ، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت لها السعادة في دنيا من الهموم . وتمنت لو أراحها الموت من حياة اتصلت أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بمفاوز من الآلام والأحزان ... وانطلقت في سرب من وصيفاتها

فأشرقت على العشاق وقد ضربت بخمارها الشف على وجهها التألق الناصع ، فذهل الملأ ، وزاغت أبصارهم ، وأحسوا أن شيئاً يخلع قلوبهم ، فما منهم إلا تمنى أن يكون صاحب هذا الجمال الرائع والحسن الباهر ، والفتنة المتقدة ... ونهض يوريماخوس فقال يخاطبها : « يا ابنة إيكاريوس بوركت ! تالله لو رآك كل من فى هيلاس لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازدحموا حولك هنا ... فى ذلك القصر العتيد ! »

فقالت بنلوب : « يوريماخوس ! تالله لقد ذهب الآلهة بجمالى الذى تصف يوم رحل عنى زوجى أودسيوس فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لي وهو قابض على يمينى يودعنى : « زوجتى ! إن أكثر من ترين من هـذا الجيش لن يعودوا إلى ديارهم ... ففي طروادة محاربون صناديد ، وملاعبو أسنة لايشق لهم غبار ، وذادة ورماة ! وإنى لا أدرى ماذا يكون من أمري هنالك ، ولذا ، أكل إليك كل ما أدع ورائى ، وإنى موصيك أول ما أوصيك بأبى وأمى ، فاعنى بهما كأحسن ما كنت تعنين وولدهما معك ، فإذا شب ولدى وترعرع ، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت ، وتتزوجى ممن تختارين من الأكفاء الأنداد » هـذا وإنى أرى أن هذا اليوم العصيب قد حان ! ولكن واأسفاه : إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا وتشربوا وتعيثوا وتعبثوا بكل ما ترك صاحب القصر . . . وكنت أظنكم تقيمون فى منازلكم وترسلون إلى هدايا كم لتكبروا عندى ولا تهزل مكانتكم لدى . . ألا ساء ما تزرون »

وتبسم أودسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من شدة ما سحرت ألباب العشاق ومما أخذتهم به من حزم ... أما أنطونيوس فقد أجابها بقوله : « أما هدايانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من تقديمها إليك ... على أننا لن نريم عن هذا القصر حتى تختارى لنفسك بعلاً يكون كفئاً لك » وأيد العشاق ما قال قائلهم ، فنهضوا ليحضروا هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها ... وتقدموا بها إلى بنلوب ؛ فهذا ثوب ثمين من قاقم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً ... وهذا عقد حُليت خرزاته بقطع من الكهرمان الحر ؛ وتلك أساور من ذهب وشُنُوف كثيرة وأقراط (١) . وعادت بنلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا والحلى.. وأخذ العشاق كدأبهم فى القصف واللهو والعبث والغناء ... حتى أقبل الليل ، فقدم الندامى بمجامر من نحاس بها وقود يشتعل ، وطفقن يلقين فيها من الند والرند والعود ذى العرف ، وطفق البخور يعبق فى أرجاء البهو الكبير ... وهنا ... نهض أودسيوس وتوجه إلى البنات يقول : « أيها العذارى أولى بكن ثم أولى بكن أن تذهبن إلى سيدتكن فتسلينها وتواسينها ، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النـار حتى ينصرف العشاق ... ولن يؤودنى أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر ؛ ولن أضيق بجمعهم مهما عبثوا بى ، فأنا رجل ذو تجاريب » . فتضاحكن به ، وقالت ميلانتو التى هي أجملهن وأقلهن احتشاماً ، تعبث به : « ماذا أصابك الليلة أيهذا النازح الغريب ؟ انطلق إلى حداد المدينة فنم فى دكانه ، فهو خير لك من أن تسهر ههنا وتثرثر ... هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت بالشحاذ إيروس ؟ اربع عليك ، فقد تبتليك السماء بمن يبطش

(١) الشنوف والأقراط (الحلقان) لأذن المرأة

بك كما بطشت به ، ويطردك من هنا ! ؟ » . . . ورشقها أودسيوس بعينه وقال : « أسكتى ياهناة [١] والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس فليقطعن لسانك ، ولميزقن جسدك ! » . وذعر العذارى وولين هاربات ، وقام أودسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفى قلبه ضرام ، وما فتىء يفكر فى ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم . . . ولم تشأ مينرفا أن تنهى هذا الشقاء الذى ضربته على أودسيوس ، بل تركته يستهزىء به العشاق ، ويسخر به يوريماخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول : « ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلنا وحامى قبسنا . . . أنظروا إلى رأسه النحاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعالا يضىء لنا ؟ » ثم التفت إلى أودسيوس وهو يقول : « أإذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لى بعيدة من هنا وتغرس بها أشجاراً ، على أن أطعمك وأكسوك وأنقدك مالا ، فإنك ترضى ؟ ولكن لا . . . إنى لأظنك تنسرق منها طواعية لفرائزك وخبث جبلّتك فتنطلق إلى المدينة لتستجدى وتتكفف . . . »

وتخابث أودسيوس وقال يجيبه : « يوريماخوس ! تالله إنه ليس أحب إلىّ من أن أباريك فى فلاحة فى يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار ، من مشرق الشمس إلى مغربها ، على ألا يذوق أحدنا طعاماً ولا يسيغ شراباً . . . أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة أفدنة فى أرض جيوب ، وثورين حنيذين ذوى خوار ، فى ذلك اليوم ، لترى أينا يصمد لحرثه ويفلح أرضه . . . بل إني لأتمنى ، إذ نحن فى هذه الأرض ، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله ، وتكون لى درع دلاص سابغة وخوذة من نحاس ، ورمحان فى يدى لترى كيف لا يحول الجوع بينى وبين أقرانى ، وكيف أضرج بدمائهم الأرض ، وأتركهم فى البرية جزر السباع وكل نسر قشعم . . . أيها اللكعُ الوقح . . . والله لو أن أودسيوس رب هذا البيت قد فجأك الآن لضاقت عليك الأرض بما رحبت . . . أنت أيها الغرور المتعاظل الذى غره أن يكون شجاعاً بين نوْكى لا حول لهم ! »

وجن جنون يوريماخوس ، وأخذ مُتكأ ثقيلا وقذفه شطر أودسيوس ، ولكن البطل انفتل بعيداً وسقط المتكأ على الساقى المسكين ، فخر إلى الأرض يئن ويتوجع . . . وغيظ العشاق أيما غيظ ، وعلا لغطهم ، وودوا لو يسحقون أودسيوس لولا أن تقدم تليماخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول : « يا سادة ! إنى كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آويته وضيفته . . . والرأى أن تقطعوا سمركم هذا ، وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل . . . » وأيده الأمير أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا الكأس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم . . . وفى نفس يوريماخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال . . .

المرضع العجوز تعرف أوديسيوس

وهكذا خلا الجو لأودسيوس وولده ، فقال ، يحدث تليماك : « أى بنى ينبغى أن نخبىء أسلحة القوم فى مكان حريز ، فإذا سألوك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لا تتأثر بالدخان والغبار وتقلبات الجو . وامتثل تليماك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال لها : « أماه ليقر الوصيفات فى مضاجعهن حتى

(١) الهناة الداهية

أنقل أسلحة أبي إلى مكان حريز فقد تراكم عليها الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة : « أجل يا بني ، إنه ينبغي أن تعنى بكل ما يتعلق بأبيك وبكل ما ملكت يداك ... ولكن قل لي ... من يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا أدعوهن فيحملنه لك ؟ » وشكرها تليماك ، وذكر لها أن الرجل الغريب سيحمله ، وأهرعت يوريكليا إلى داخل القصر ، وهب أودسيوس وولده يحملان الخوذ والدروع والرماح ، وبدت مينرفا الكريمة تحمل بين أيديهما مصباحاً ذهبياً كان يشع سناء عجيباً ، ونوراً لم تقع عينا تليماك على مثله . فقال لأبيه وقد أخذه العجب « أبتاه ! ما هذا النور المنعكس على الجدران والعمد والقوائم والعوارض حتى ليكاد يجعلها تلتهب ! قط ما رأيت مثل هذا قط ... لا بد يا أبي أن إلهاً معنا هنا ! » وقال أبوه : « أخزن عليك لسانك يا بني ، واملأ قلبك بما ترى ، فانه من نور السماء ، وهذا دأب الآلهة ... والآن ، لتصعد أنت فلتنم ملء عينيك كي تستريح ... أما أنا ، فباق هنا ، لأنه لا بد لي أن أكلم أمك وخدمها »

وانطلق تليماك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب وأقبل في إثرها سرب من خدمها فأعددن لها عرشاً ممرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت قدميها الماجيتين إلى متكأ جميل ، فبدت كاحدى الآلهة . وجلس أودسيوس على كرسي صغير بُثّتْ عليه فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة فقالت : « والآن أيها الغريب الكريم قص علي من أنبائك وخبرني من أنت ، ومن أي البلاد قدمت » فقال أودسيوس : « أيتها الملكة تعالى جدك وصلح حالك ... إن لك في العالمين لذكراً يعبق كالعطر ، واسماً كريماً ليس لملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالمحبة ... إنني يا مولاتي رجل كرثه الزمان ، وعسفت به يد الحدثان ، فاذا سألتني ما اسمي وما بلادي ، فانك تثيرين من أعماق ذكريات عنيفة تدمي فؤادي ، وتفجر الدموع في مآقي ، فأعفيني أيتها الملكة من ذكر ذلك ، فانه ليحزنني أن أجلس بين يديك باكياً متصدعاً مهموماً ... » وبدا الألم على وجه بنلوب وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذبلت حياتي وذوت زهرتي مذ رحل زوجي المحبوب إلى طروادة ، تاركا لي الهم ، ومخلفاً لي الحسرة ! ألا ما أقسى ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد أسلمني بعاده لليل أليل من الآلام ، فما أدري منذ فارق كيف أهش لضيف مسكين مثلك ، ولا كيف أبش لأحد ما من العالمين ... وهؤلاء الأمراء اللؤماء الذين تكبكبوا حولي يريدون ليرغموني على اختيار أحدهم بعلاً لي من دون أودسيوس لا أدري كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل لدفع أذاهم ... لقد مكرت بهم طويلاً ، ولكنهم مكروا بي السيئات ، فلا أدري كيف أنقذ نفسي منهم ؛ وهذان أبواي يريدانني على هذا الزواج البغيض إليّ ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق بعشاق ذرعا ، وإن في صدره حرجاً منهم لأنهم يهلكون ثروته ، ويعيثون في قصره ، ويخوضون في عرض أبيه ... ولكن ... حدثني بأربابك من تكون ، ومن قومك ، وأي بلاء من الدهر شردك عن وطنك ... تكلم أيها العزيز ولا تحزن » . وأرسل أودسيوس آهة عميقة ثم تكلم فزخرف حديثاً طويلاً موشّى ، ولفّق قصة حزينة متقنة ، وذكر للملكة أنه رجل مُرزّأ

من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من العيش ، وذكر أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفرجة التي كانا يحييانها ، وذكر أنه عرف أودسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ الأفريطي ، فهرول إليه وتلطف به وأخذه إلى داره حيث أكرم مثواه واحتفى أبواه به ... ولم يكد أودسيوس يفرغ من حديثه حتى ترقرقت الدموع في عيني بنلوب وانطلقت تبكي على زوجها الذي لم تدر أنه جالس إليها يحدثها ويوشي لها أطراف الكلام . وتأثر هو من بكائها فكادت عيناه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فحبس العبرات التي أوشكت تنهمل بأجفان من حديد ... ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ أو تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشئومة ؟ » وتخابث أودسيوس فقال : « مولاتي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ماقبل عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي ما تزال تنطبع من صورته في رأسي ... أذكر يا مولاتي أنه كان يلتفع بثوب أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معروق يحمل في برطيله[١] ظبياً مرقّطاً . وأذكر أنني رأيت قميصه ولمسته ، فلاأذكر أنني لمست في حياتي أنعم ولا أرق ولا أثمن ... وكان يسعى بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ذو كتفين مستديرتين وبشرة سنجابية وشعر مُفلفَل ... وكان أودسيوس يوقره ويبجله أكثر مما كان يبجل سائر أصحابه » .

وصمت أودسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت في البكاء ، ثم قالت : « لشد ما كنت أرثي لك أيها الغريب النازح الجوّاب ؛ أما الآن فإني أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد صنعت له هذا الثوب بيدي ، وأنا التي وشيته بالذهب ! واأسفاه عليك أودسيوس ! إنك لن تعود إلى ياحبيبي ! بُعْداً ليوم نزحت فيه عن وطنك إلى هذا البلد اللعين المشئوم إليوم ! » وهش أودسيوس وقال : « خفقي عنك يامولاتي ، ولا تتلفي قلبك بطول هذا البكاء . ثم لم تيأسين من أوبته وقد سمعت عنه أخباراً سارة حين كنت في أبيروس ؟ لقد مات عنه كل أصحابه ، ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم لغضب صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجا مع ذلك . وهو الآن سليم معافى يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير . وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملفقاً ، بل أحلف عليه وأقسم بأغلظ الأيمان أنه سيصل إليكم في عامكم هذا ... بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر دورة هذا الشهر ! ! » . فتأوهت بنلوب وقالت : « ويك أيها الضيف ! تالله إن قلبي ليكذب ما تسمع أذناي ، وإنه لايصدق أن صاحبي عائد يوماً إلى إيثاكا ... ولكن هلم ... إلى سآمر وصيفاتي فيغسلن قدميك ويعطينك ثياباً وكسوة ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا ؛ فاذا كان الغد فستجلس مع تلماك على مائدة الأمراء ولن يجسر أحد منهم أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده إليك بأذى » وشكر لها أودسيوس وقال : « مولاتي لقد اعتدت أن ألتحف السماء إذا نمت ، وأن أفترش

(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته ولم يذكره صاحب القاموس

الغبراء ، ولن تمسني وصيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدمي ... ولكن إذا كان فيهن واحدة محلمة شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل لى قدمى ، على أن تكون عجوزاً حيزبوناً ! ؟ » . وسرت بنلوب وقالت تجيبه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلا أيها الضيف الكريم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أمينة طاعنة فى السن كانت موكلة بمولاي أودسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهى التى ستغسل لك قدميك ... يوريكليا ... يوريكليا .. أقبلى .. اسهرى على هذا الرجل العجوز الذى له مثل سنك وتجاريبك ... إن له سحنة كسحنة أودسيوس وسيماء كسيمائه .. إغسلى قدميه وقدمى له كسوة تليق بضيف حل ببيتنا » وكأنما هاجت ذكرى أودسيوس شجون المرأة فترقرق الدمع فى عينيها اللوزتين وقالت : « آه يا ولدى يا أودسيوس لشد ماينزع فؤادى إليك ويخفق لذكراك ! تالله لم أر رجلا أحبت للآلهة كما أحبت وضحى لها كما ضحى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه فلم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدرى ؟ قد يكون غريباً كهذا الغريب ، جواب آفاق فى بلاد نائية ، ومن يدرى ؟ قد تكون نسوة تعبث به كما عبث نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلىّ من أن أغسل قدميك كما أمرت مولاتى ... أوه : يا للعجب ؟ ! لماذا ينجذب إليك قلبي هكذا ؟ يا للآلهة ! ! أبداً ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأودسيوس منك سورة وصوتاً وخطراناً ... »

وتأثر الملك وأنشأ يقول : « ربما يا أماه ! لقد قال مثل ما قلت كثيرون ممن رأونى ورأوا أودسيوس » وذهبت يوريكليا فأحضرت طستاً[1] به ماء وانتهز أودسيوس انشغالها عنه فابتعد عن الموقد ، لأنه ظن أن المرأة قد ترى الندوب التى بقدميه ، الباقية ثمة من عضة خنزير برى كان قد بطش به فى حداثته فتكشف ما حرص هو عليه من كتمان أمره .. بيد أنها لمست النّدبة[2] الكبرى فى ساق سيدها إذ هى تغسلها ... وكانت الظنون قد ساورتها لما سمعت من صوته ، واستذكرت من صورته . فلما تحسست الندبة زاغ بصرها ، وحملقت فجأة في وجه مولاها وسقطت يداها من غير وعى فانقلب الطس النحاسي محدثاً صوتاً مرناً مدوياً ... وسال الماء ... وانحبس الدمع والمنطق فى عينى العجوز وفى لسانها ثم عالجت المفاجأة السارة المحزنة فى صدرها ... وصرخت تقول : « أنت ! هو أنت ! والله إنك لأودسيوس ... لقد عرفتك ... هذه هى النّدبة التي أحدثها الخنزير بساقك ! لقد لمستها بيدى! » وأهرعت العجوز مذهولة نحو بنلوب لتزف إليها البشرى الهائلة ... ولكن مينرفا كانت أسبق منها ... فقد سحرت عينى بنلوب وسمعها ... وعجل أودسيوس إلى العجوز فأطبق بكفه على فمها وقال : « يوريكليا ! أصمتى ! أنا هو ! ولكن أصمتى ! إن كلمة واحدةً منك تقضي على ! لقد غذوتني ونشأتنى فى حضنك صغيراً ، فهل تكونين

(١) الطس بالفتح والطست والطسة (الطشت) الذي يغسل فيه (قاموس)

(٢) أثر الجرح القديم